علم ابن النديم باليهودية والنصرانية

حوى كتاب « الفهرست » لابن النديم شيئاً من المعلومات عن اليهودية والنصرانية ، حصل عليها المؤلف من مراجعته بعض المصنفات التي وجدها في خزائن الكتب ، يهودية ونصرانية ، ومن بعض علماء اليهود والنصارى الذين التقى بهم وحادثهم وأخـــذ منهم . ويفيدنا هذا الذي دونه عن الديانتين فائدة كبيرة في الوقوف على مبلغ علم علماء المسلمين في زمن ابن النديم من العلم باليهودية والنصرانية واحاطتهم بها ، ومعرفة أشهر رجال الديانتين ممن وردت أسماؤهم في هذا الكتاب .

وقد سطر ابن النـديم علمه بالديانتين في الفصل الأول والفصل الثاني من كتابه ، أي الفهرست . فتحدث في الفصل الأول عن « الفن الأول من المقالة الأولى » ، و « وصف لغات الأمم من العرب والعجم » ثم « نعوت أقلامها وأنواع خطوطها وأشكال كتاباتها » ، وتكلم فيه على « القلم السـريانى » و « القلم العبرانى » ، و « القلم الرومي » و « قلم لنكبرده ولساكسة » وقلم القرنجة والأرمن ، وتحدث في « الفن الثاني من المقالة الأولى » عن « أسماء كتب الشرائع المنزلة على مذهب المسلمين ومذاهب أهلها » [1] . وقد دون في هذا الفصل أسماء الموارد التي أخذ منها ، من مصنفات ورجال .

وقد افتتح « ابن النديم » كلامه في « الفن الثاني من المقالة الأولى » ، بقوله : « قال محمد بن اسحاق : قرأت في كتاب وقع اليّ ، قديم النسخ ، يشبه أن يكون من خزانة المأمون ، ذكر تاقله فيه أسماء الصحف وعددها والكتب المنزلة ومبلغها ، وأكثر الحشوية

(١) الفهرست (ص ٣٢) « طبع المكتبة التجارية » بالقاهرة .

والعوام يصدقون به ، ويعتقدونه . فذكرت منه ما تعلق بكتابي هذا . وهذه حكاية ما يحتاج اليه منه على لفظ الكتاب . قال أحمد بن عبد الله بن سلام مولى أمير المؤمنين هارون ، أحسبه الرشيد ، ترجمت هذا الكتاب من كتاب الحنفاء ، وهم الصابئون الابراهيمية الذين آمنوا بابراهيم ... » . ثم قال : « قال : أحمد بن عبدالله بن سلام : ترجمت صدر هذا الكتاب والصحف والتوراة والانجيل وكتب الانبياء والتلامذة من لغة العبرانية واليونانية والصابية ، وهي لغة أهل كل كتاب ، الى اللغة العربية حرفاً حرفاً ، ولم أبتغ في ذلك تحسين لفظ ، ولا تزيينه ، مخافة التحريف ، ولم أزد على ما وجدته في الكتاب الذي نقلته ، ولم أنقص ، إلا أن يكون في بعض ذلك من الكلام ما هو متقدم بلغة أهل ذلك الكتاب ، فلا يستقيم لفظه في النقل الى العربية ، إلا أن يؤخر ، ومنه ما هو مؤخر لايستقيم إلا أن يقدم ، ليستقيم ذلك بالعربية . وهو مثل قول من يقول : ات ملايم تان . ترجمته بالعربية : ماء هات . فأخرت « الماء » ، وقدمت « هات » . وكذلك اللغات فيما يستقيم اذا نقل الى العربية » [1] .

وفي هذه العبارات المنقولة عن الأصل المترجم ، أي عبارات أحمد بن عبدالله بن سلام ، ملاحظات قيمة ثمينة في قواعد الترجمة والنقل من لغة الى لغة أخرى . وهي تبين طريقة من طرق الترجمة التي اتبعها التراجمة والنقلة في العصر العباسي من الألسنة الأعجمية الى اللسان العربي . فقد تقيد المترجم في نقله الكتب الدينية ، بالترجمة الحرفية ، لم يحسن فيها ، ولم يزين في جملها ، ولم يزد على ما وجده في الكلام أو ينقص منه ، إلا ما لايستقيم مع قواعد اللغة المنقول الكلام اليها ، فيقتضي عند ذلك التقيد بقواعد اللغة ، ليستقيم ذلك في اللغة المنقول اليها . وقد تقيد في هذه الترجمة بصورة خاصة ، لأن الكتب المترجمة ، هي كتب مقدسة ولذلك يجب الحذر الشديد في نقلها من لغتها الأصلية الى لغة أخرى ، والمحافظة

(١) الفهرست (ص ٣٢ وما بعدها) .

الشديدة على النص وعلى المعنى في الوقت نفسه .

وانتقل ابن النديم بعد ذلك الى الكلام على التوراة التي في يد اليهود ، وأسماء كتبهم ، وأخبار علمائهم ومصنفيهم ، فقال : « سألت رجلاً من أفاضلهم عن ذلك ، فقال : أنزل الله ، جل اسمه ، على موسى التوراة ، وهي خمسة أخماس ، وينقسم كل خمس الى سفرين ، وينقسم السفر الى عدة فراسات ، ومعناها السورة . وتنقسم كل فراسة الى عدة أبسوقات ، ومعناها الآيات . قال : ولموسى كتاب يقال له : المشنا ، ومنه يستخرج اليهود علم الفقه والشرائع والأحكام ، وهو كتاب كبير ، ولغته كلداني وعبراني . ومن كتب الانبياء بعد ذلك ، كتاب يهوسع ، كتاب سفطى ، كتاب شمويل ، كتاب سفر اشعيا ، كتاب سفر أرميا ، كتاب سفر حزقيل ، كتاب ملخي ، وهو سفر داوود وأصحابه ، ويعرف بتفسير ملخى الملوك ، كتاب الانبياء ، وهو اثنا عشـــر سفراً صغاراً ، ولهم كتب يقال لها بطارات مستخرجة من كتب الانبياء الثمينة . ومن كتبهم كتاب عزور ، كتاب دانيال ، كتاب أيوب ، كتاب سير سيرين ، كتاب أخا ، كتاب روث ، كتاب قوهلت ، كتاب زبورداوود ، كتاب أمثال سليمان ، كتاب ديوان الايام فيه سير الملوك وأخبارهم ، كتاب حشوارش ، ويسمى المجلة »[1] .

وما أوردته هنا هو كل ما رواه ابن النديم عن اليهودية في هذا الكتاب ، الا ما أورده في الفصل الأول عن القلم العبراني . وهو كلام مقتضب ، خلاصته : أن الكتابة العبرانية في أيامه ، هي غير الكتابة العبرانية الأولى ، حدثه بذلك كما يقول « رجل من أفاضل اليهود » ، و « أن العبراني مشتق من الســـرياني » . وقد ذكر ذلك « تيادورس » . « وإنما لقب بذلك حيث عبر ابراهيم الفرات يريد الشام هارباً من نمرود بن كوس بن كنعان » . وقد ذكر « أن أول من كتب بالعبرانية عابر بن شالخ ، وضع ذلك بين قومه ،

(١) الفهرست (ص ٣٤) .

فكتبوا به » [1] .

وقصد بلفظة « التوراة » ، الأسفار المعروفة بـ « كتب موسى » وبـ « توراة الله » « Torah Elohim » ، وبـ « توراة يهوه Torah yahwe » ، عند اليهود . وهي لفظة عبرانية ، معناها « الشريعة » والتعليم والوصية [2] . وقد ذهب بعض علماء اللغة العرب الى أن لفظة التوراة لفظة عربية ، ورأى بعض آخر أنها عبرانية معربة [3] . وقد صارت عند بعض المسلمين مرادفة لمصطلح « العهد القديم » المستعمل عند النصارى في مقابل العهد الجديد ، أي كتب موسى والكتب الأخرى المجموعة بين دفتي هذا العهد . ويشمل العهد القديم الكتب التسعة والثلاثين . أما العهد الجديد ، المعروف بالانجيل عند المسلمين ، فيقع في سبعة وعشرين قسماً ، تتناول الاناجيل الاربعة وأعمال الرسل والرسائل [4] .

ولكن محدث ابن النديم ، كان صريحاً واضحاً في تخصيصه لفظة التوراة بالكتب الخمسة الأولى من العهد القديم . أما ابن النديم ، فانه حاكٍ قائل لرأي محدثه اليهودي . وأما علماء المسلمين من المفسرين والمحدثين وعلماء اللغة ، فقد خصصوا اللفظة بهذه الكتب ، وعرفوها بأنها الكتب التي نزلت على موسى [5] . وقد عرف بعضهم هذه الكتب ، عرفوها باتصالهم ببعض علماء « أهل الكتاب » ، أي اليهود والنصارى ، ومن رجوعهم الى ترجماتها وأخذهم منها ؛ إذ نجد في المؤلفات العربية مقتبسات كثيرة ، منقولة من

(١) الفهرست (ص ٢٢) .

(٢) Hastings, Dictionary of the Bible, P. 532,

(٣) المفردات في غريب القرآن ، الراغب الاصفهاني (ص ٧٤) ، شرح القاموس (١٠/٣٨٩) ، معجم المعجمية العربية على ضوء اللغات السامية ، (ص ٢٢ وما بعدها) ، دائرة المعارف البستاني (٦/٢٦٤) .

(٤) قاموس الكتاب المقدس (٢/١٢٢) .

(٥) « وهي التوراة التي أنزلت على موسى » ، « وأنزل التوراة على موسى » ، تفسير الطبري (٣/١١١ ، ١٨٩) ، « وهي الكتاب الذي أنزل على موسى » ، صبح الأعشى (١٣/٣٠٢) .

التوراة بصورة خاصة ، ومن بقية أقسام العهد القديم .

وقد اعتمد المسعودي في مؤلفاته على التوراة وكتب اليهود الأخرى في أثناء كلامه على تواريخ الأنبياء . فلما تحدث عن نوح مثلاً ، قال : « ووجدت في التوراة أن نوحاً عاش بعد الطوفان ثلاث مئة وخمسين سنة ، فجميع عمر نوح تسع مئة سنة وخمسون سنة »[1] . وهذه العبارة ، ترجمة حرفية لما جاء في آخر الاصحاح التاسع من سفر التكوين ، وهي : « وعاش نوح بعد الطوفان ثلاث مئة وخمسين سنة ، فكانت كل أيام نوح تسع مئة وخمسين سنة ، ومات »[2] . وتحدث عن التوراة بقوله : « وأنزل الله ، عز وجل ، على موسى عشر صحف ، فاستتم مئة صحيفة : ثم أنزل الله عليه التوراة بالعبرانية ، وفيها الأمر والنهي والتحريم والتحليل والسنن والأحكام ، وذلك في خمسة أسفار . والسفر يريدون به الصحيفة »[3] . ويريد المسعودي بالصحيفة ، هنا السفر في الترجمة الحديثة . ويتألف كل سفر من أقسام ، يقال لكل قسم « إصحاح » في الترجمات العربية الحديثة .

وأما قول ابن النديم ، نقلاً عن محدثه اليهودي : « وهي خمسة أخماس ، وينقسم كل خمس الى سفرين » ، فيريد به جملة « خميشة خمشه هتوراه Hamishah humshé hattorah » العبرانية ، التي تعني « خمسة أخماس الشريعة » ، ويعنون بها « التوراة » ، ويطلقون عليها « مقرا Miqrā » أيضاً بمعنى القراءة[4] ، وتقابل لفظة « بنتاتوخس » « Hexateuch » و « Pentateuchus » اليونانية ، ويراد بها الكتب الخمسة الأولى من العهد القديم ، أي ما يقول له العبرانيون « خمسة أخماس الشريعة » المذكورة[5] . ويظهر أن الرجل العبراني

(١) مروج الذهب (١/٢١) ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد .

(٢) الترجمة البوليسانية (الآية ٢٨ وما بعدها) .

(٣) مروج (١/٣٩) .

(٤) المعجمية العربية (٧٣) .

(٥) Hastings, P. 546.

قد عرّب له الجملة العبرانية ، إلا أن ابن النديم نسي لفظة الشريعة ، أو أن الرجل لم يذكرها له مكتفياً بتفسيره للتوراة بأنها خمسة أخماس . أي خمسة كتب ، كل كتاب هو خمس التوراة . وأما اللفظة اليونانية « بنتاتويخس » ، فانها مركبة من « Penta » ، ومعناها خمسة و « Teuchus » ، وتعني الغلاف أي الكيس الذي يوضع فيه الكتاب . وقد أرادوا بها تلك الكتب الخمسة المذكورة ، ولم يقصدوا بها هذه الكتب ، مضافاً اليها الكتب المقدسة الأخرى ، أي العهد القديم [1] .

ويقال لكل كتاب من كتب العهد القديم سفر ، ويجمع على أسفار . واللفظة عبرانية من أصل « سيفر Sefr » ، بمعنى كتاب ، أي جزء كامل من التوراة ، وهي تقابل لفظة كتاب التي استعملها ابن النديم . ومن العبرانية ، اخذت السريانية لفظة « سيفرو Sefro » ، وهي فيها أيضاً بمعنى سفر وكتاب . وقد وردت اللفظة في القرآن الكريم بصيغة الجمع ، أسفار [2] . وذكرت في كتب اللغة بالمعنى المعروف من اللفظة عند السريانيين [3] . وتعني لفظة « سَفَر Sfar » في السريانية دَرَسَ وكتب وتفقه وتعلم . وقد عرف علماء اللغة السفر بالكتاب الكبير ، أو الجزء من أجزاء التوراة ، و « سَفَر الكتاب » كتبه . والكرام السفرة هم الكتبة . وذكر بعضهم : أن الأسفار هي الكتب بالسريانية ، وقال آخرون : هي الكتب بالنبطية . و « سُفرو Sofro » بمعنى كاتب مسجل ، فقيه ، أستاذ ، رئيس . ويجمع فيها على « سوفرا Sofro » [4] .

---

(١) المصدر نفسه 346 ff.

(٢) الجمعة ، الآية ٥ .

(٣) معجم ما استعجم (ص ٣٦٩) ، الاتقان (ص ١٢٨ ، ١٢٩) ، الأساس (١/٤١٢) ، « والسفر بالكسر الكتاب الذي يفسر من الحقائق ، وقيل الكتاب الكبير لأنه يبين الشيء ويوضحه و ... أو السفر جزء من أجزاء التوراة . والجمع أسفار » ، شرح القاموس (٣/٢٧١) .

(٤) الألفاظ السريانية في المعاجم العربية ، دمشق ١٩٤٨ — ١٩٥١ ، (ص ٨٤ وما بعدها) .

وينقسم كل كتاب ، أي سفر ، الى إصحاح . وقد قسم العبرانيون الكتب الى إصحاحات ، للتسهيل على القرّاء . ويطلق على الاصحاح عندهم « براشا Parashah » [1] . ومن هذه اللفظة جاءت كلمة « فراسات » التي ذكرها ابن النديم عنهم بمعنى السورة . وقد أدخل عليها ابن النديم أو محدثه بعض التعديل ، فصارت على هذا النحو . أما لفظة إصحاح ، المستعملة في الترجمات العربية الحديثة ، فانها لفظة معربة عن السريانية ، وهي فيها . بمعنى فصل من كتاب ، ولم ترد إلا في الأسفار المقدسه [2] .

وأما قوله : « وتنقسم كل فراسة الى أبسوقات ، ومعناها الآيات » ، فان الأبسوقات عبرانية ، واحدها « بسوق » ، وقد فسرها بالآيات جمع آية .

و « المشنة » « المشنا » « Mishna » ، وتعني « التكرار » ، هي مجموع تقاليد اليهود المختلفة مع بعض الآيات من التوراة ومن الكتب المقدسة الأخرى ، لشرحها وفسرها . جمعها أحبار ورّابيون عاشوا من بعد موسى ، واستمر عملهم الى القرن الثاني بعد الميلاد ، وانتهت كتابتها الى الحاخام « يهودا هاناسي Yehudah ha-Nasi » المتوفى حوالي سنة (٢٢٠) للميلاد .

وتقسم « المشنا » ستة أقسام ، تعرف بـ « سداريم Sedarim » . وهي لفظة آرامية تعني « الأوامر Orders » . ويتألف كل قسم « سدر Sedar » من جملة موضوعات وأبحاث مقسمة الى فصول ، ويتكون كل فصل من فقرات ، ويعرف كل « سدر » بعنوان مأخوذ من الموضوعات التي يعالجها . وهذه العناوين الستة ، هي : « زرعيم Zera'im » أي الزراعة والبذور « Seeds » ، ويشتمل على أحد عشر بحثاً ، و « موعيد » أي الأعياد ، ويشتمل على اثنتي عشر بحثاً ، و « ناشيم ، نشيم Nashim » ، ومعناها النساء « المرأة » ،

(١) Hastings, P. 96.

(٢) يرمرم (ص ٢٠) .

ويشتمل على سبعة بحوث ، و « نزيكين Nezikin » ومعناه « المجروح » ، ويشتمل على عشرة فصول ، ويعرف كذلك بـ « يشأ أوث Teshuoth » ، و « قوداشيم Qodashim » ومعناه « المقدسات » و « الأشياء المقدسة » والأمور المقدسة ويشتمل على أحد عشر قسماً ، و « توهـــاروت Toharoth » ومعناها المطهّرات ، ويشتمل على اثني عشر بحثاً [1] عن الطهارة والنجاسة وما يتعلق بهما .

ويرى اليهود أن « المشنا » ، أنزل في الأصل على موسى ، وقد حفظ عنه هارون واليعازر ويهوذا ، ثم الأنبياء من بعدهم ، ثم أعضاء المجمع المقدس الأعلى ، ثم من جاء بعدهم ، وهكذا الى أيام الحاخام « يهوذا هاناسي » ، المذكور الذي قام بتدوينه وجمعه ، فنسب اليه . فالمشنا عند اليهود هو حديث موسى ، حفظ وروي عنه الى بعد الميلاد ، حيث جمعه ذلك الحاخام . وهو عندهم بمنزلة حديث الرسول عند المسلمين . ولهذا عدّه محدث آبن النديم كتاب موسى ، ونسب اليه ، وهو مرجع اليهود في الأحكام [2] .

والمشنا ، كتاب ضخم يتألف من مجلدات كبيرة . وأما لغتها ، فهي العبرانية الحديثة في اصطلاح علماء التوراة ، أي العبرانية المتأثرة بالارمية . ولهذا قال محدث ابن النديم لغة الكتاب كسداني وعبراني [3] . وقد أطلق العرب لفظة الكسداني على النبطية في بعض الأحيان ، وعلى الكلدانيـة أي لغة البابليين [4] أحياناً أخرى ، ويقصدون بها الارمية أحياناً أخرى . واللفظة عبرانية الأصل أخذت من « Kasdim » المرادفة للكلدانيين في التوراة [5] . ولما كان قسم من المشنا قد كتب في بابل ، وكانت الارمية هي لغة العلم في

(١) المصدر نفسه ص ٨٩٠ .

(٢) قاموس الكتاب المقدس (١/٢٩١) .

(٣) الفهرست (ص ٤٣٣) .

(٤) « ومعنى كسداني : نبطي ، وهم سكان الأرض الأولى » ، الفهرست (ص ٤٣٣) .

(٥) Hastings, P. 120.

ذلك الحين ، كتبت بعض فصول المشنا بهذه اللغة ، كما تأثر العبرانيون بها لهذا العهد ، واستعملوها في تآليفهم بدلاً عن العبرانية القديمة .

وذكر ابن النديم بعد المشنا كتباً ذكر أنها من كتب الأنبياء ، منها : كتاب يوشع ، وكتاب سفطلي ، وكتاب شمويل ، وكتاب سفر أشعيا ، وكتاب سفر أرميا ، وكتاب سفر حزقيل ، وكتاب ملحي وهو سفر داوود وأصحابه ويعرف بتفسير ملحي الملوك ، كتاب الأنبياء وهو اثنا عشر سفراً صغاراً . ثم قال بعد ذلك : « ولهم كتب يقال لها بطارات ، مستخرجة من كتب الأنبياء الثمينة . ومن كتبهم : كتاب عزور ، وكتاب دانيال ، وكتاب أيوب ، وكتاب سير سيرين ، كتاب أخا ، كتاب روث ، كتاب قوهلت ، كتاب زبور داود ، كتاب أمثال سليمان ، كتاب ديوان الأيام فيه سير الملوك وأخبارهم ، كتاب جشوارش ويسمى المجلة » [1] .

أما كتاب « يوسع » ، فقد أراد به محدث ابن النديم سفر « يشوع » ، المعروف بـ « يشوعا Joshua » الذي يلي التوراة في الترتيب . وهو في مقدمة الكتب المسماة عند العبرانيين بكتب الأنبياء . وهو يبحث في افتتاح الأرض المقدسة ، أرض فلسطين ، وفي تقسيمها وفي خطابي يشوع وموته ودفنه [2] . وقد دعي هذا السفر بسفر يشوع ، نسبة الى « يشوع بن نون » . « Joshua bin Nun » .. ودعي بـ « هوشيع Hoshea » و « يهوشوع » في التثنية وفي العدد [3] . وهو من سبط افرايم ، وقد ولد في مصر . وكان خادماً لموسى ، ثم صار خليفة له . وهو الذي عبر الأردن ، وقاد جماعة إسرائيل الى فلسطين .

---

(١) الفهرست (ص ٣٤) .

(٢) قاموس الكتاب المقدس (٢/٥١١) ، Hasting, PP. 498

(٣) Dt. 32, 44, Zun 13.8.

وقد ورد في سفر يشوع عن وقوف الشمس والقمر له [1] . ويراد به يوشع بن نون، الذي يرد خبره في كتب التفاسير وقصص الأنبياء وكتب التواريخ والأخبار [2] . والظاهر أن محدث ابن النديم، أو ابن النديم نفسه ، لم يعرف أن المراد به يوشع عند المسلمين ، فكتبه على النحو المذكور .

وأما « كتاب سفطى » ، فهو « القضاة « Judges » ، وهو يلي سفر « يشوع » في الترتيب . ويظهر أن المعربين للتوراة كانوا قد استعملوا اللفظة العبرانية ، وهي : « شوفيتيم Shophetim » التي كانت تعني القضاة في العبرانية يومئذٍ ، ولم يستعملوا مرادفها في العربية ، ولهذا ذكر محدث ابن النديم اللفظة العبرانية ، أو إن محدثه لم يكن يعرف معناها في العربية ، فذكرها له بالعبرانية ، أو أنه لم يشأ — لسبب ديني يراه — تغيير الأصل ، فذكرها لابن النديم بأصلها العبراني ، وقد ضبطها ابن النديم بالصورة المذكورة . ولعل النساخ حرفوا الأصل ، لجهلهم به ، حتى صار « سفطى » . وقد كان الأصل « شوفيط » أو « شفطى » أو « شوفيطيم » ، فصار « سفطى » .

وكان على محدث ابن النديم ذكر سفر « راعوث » وهو « روث Ruth » بعد سفر « سفطي » ، أي القضاة ، لأنه يليه في الترتيب ، لكنه أهمله ، وذكر اسم سفر « شموئيل » بعده مباشرة . وهو « صموئيل » في الترجمات العربية الحديثة ، تقليداً للترجمات الانكليزية واللاتينية . وهذا السفر قسمان : صموئيل الأول ، وصموئيل الثاني . وقد كان على محدث ابن النديم ذكر « الملوك » بعد « شموئيل » ، لكنه لم يفعل ذلك ، وانتقل الى سفر « اشعيا » ، ثم سفر أرميا ، ثم سفر حزقيل ، وهكذا . وهي أسفار تأتي بعد الملوك بعشرة

(١) يشوع (١٠/ الآية ١٢ وما بعدها) .

(٢) الطبري (١/ ١١٤) ومواضع أخرى) ، قصص الأنبياء (ص ١٥٥ وما بعدها) ،

Ency. of Islam. Vol. IV. 1177.

أسفار في الترتيب . أما سفر « حزقيل » ، فانه لا يلي سفر « أرميا » مباشرة ، بل يأتي بعد « سفر مراثي أرميا » الذي يلي سفر « أرميا » . ويعرف سفر « حزقيل » بـ « حزقيال » « Ezekiel » في الترجمات العربيـــة الحديثة . أما « ســـفر مراثي أرميا » ، فيعرف بـ « Lamentations » في الانكليزية ، ولم يذكره ابن النديم .

أما قوله « كتاب ملخي ، وهو سفر داوود واصحابه ، ويعرف بتفسير ملخي الملوك » ،[1] ففيه اضطراب ولبس . وقـد استعمل محدث ابن النديم اللفظة العبرانية « مليخ » أي « ملك » ، فقال : « كتاب ملخي » ، وعنى بذلك ما يقال له « سفر الملوك » في الترجمة العربية الحديثة . ويبتدأ هذا السفر بشيخوخة داوود ووعـــد الله لداوود وشر التحزب والانقسام ، وينتهي سفر الملوك الثاني بسبي بابل وحريق الهيكل سنة ٥٨٦ قبل الميلاد ، ثم اطلاق يهوياكين وموته واحراق الهيكل [2] ، ولذلك فعبارته : « وهو سـفر داوود واصحابه » ، هي شرح وتفسير لما في « كتاب ملخي » ، أي سفر الملوك . وقد عاد ففسر قوله مكرراً في جملة « ويعرف بتفسير ملخي الملوك » . وكلمة تفسير ، هي خطأ قد يكون مطبعياً ، وقد يكون في أصل كتاب ابن النديم ، والصحيح « سفر » ويجب كتابة العبارة بهذه الصورة : « ويعرف بسفر ملخي الملوك » ، وتكون لفظة الملوك تعريب لملخي كما ذكرت .

أما كتاب عزور ، فيقصد به « سفر عزرا » ، ويقع بعد « أخبار الايام الثاني » في الترتيب . وقد طفر محدث ابن النديم من هذا السفر الى سفر « دانيال » ، فدعاه كتاب دانيال ، ثم رجع عدة خطوات الى الوراء حتى بلغ « كتاب أيوب » المعروف بسفر أيوب في الترجمات العربية الحديثة .

(١) الفهرست (ص ٣٤) .
(٢) قاموس الكتاب المقدس (٢/٢٢٠) .

أما « كتاب زبور داود » ، فقصد به ما يسمى بـ « المزامير » و بـ « Psalms » في الترجمة الانكليزية . ولفظة « مزامير » ، هي من أصل عبراني هو « مِزْمور Mismor » ويقابله « مزمور Mazmūr » في السريانية . ولقد وردت في القرآن الكريم لفظة « الزبور » ، كما وردت فيه « الزُبُر » كذلك . وورد في شعر لامرىء القيس : « كخط زبور في مصاحف رهبان » [1] . والظاهر أن اللفظة من أصل عربي جنوبي ، ومعناها « الكتاب » [2] .

وقد صرح ابن النديم في مقدمته عن كتب اليهود ، وقبل أسطر من كلامه على التوراة التي في أيدي اليهود ، نقلا من كتاب لأحمد بن عبد الله بن سلام : أن المزامير هي الزبور ، وقد نزلت على داوود ، وهي المعروفة التي في أيدي اليهود والنصارى . وعدتها مئة وخمسون مزموراً [3] . والمزامير هي كذلك بهذا العدد ، لا اختلاف فيه في كل الترجمات .

وقد وقف المسعودي على المزامير كذلك ، فقال : « وأنزل الله ، عز وجل ، عليه الزبور بالعبرانية خمسين ومئة سورة ، وجعله ثلاثة أثلاث : فثلث ما يكون مع بخت نصر وما يكون من أمره في المستقبل ، وثلث ما يلقون من أهل أنوار ، وثلث موعظة وترغيب ومحبة وترهيب ، ليس فيه أمر ولا نهي ولا تحليل ولا تحريم » [4] . ويظهر أن أحد اليهود تحدث الى المسعودي عن مضمون هذه المزامير ، من حيث المحتوى والمادة ، فصنفها الى هذه الأقسام الثلاثة . ففي القسم الأول تهديد وانذار لليهود ، بوجوب اطاعة أوامر إلهه اسرائيل ، ففسره اليهودي له ، أنه في موضوع « بخت نصر » وما يكون من أمره في المستقبل . فأيام بخت نصر بعيدة بالطبع عن أيام داوود . وفي القسم الثاني تهليل

(١) راجع ديوان امرىء القيس .

(٢) Ency. of Islam, Vol., IV. P. 1184.

(٣) الفهرست (ص ٣٢) .

(٤) مروج الذهب (١/٤٠) .

وتمجيد باسم الله ، فدعاء « ثلث ما يلقون من أهل أنوار » ، وأما القسم الثالث ، فهو في الترانيم والمدائح وتمجيد أسم الله أيضاً . وأما ما أورده من ملاحظات عن المزامير ، فهي صحيحة ، وقد أخذها من محدث يهودي فيما أظن .

وقد عرف بعض العلماء الزبور بأنه « اسم الكتاب المقصور على الحكم العقلية دون الأحكام الشرعية ، والكتاب لما يتضمن الأحكام والحكم . ويدل ذلك على أن زبور داوود عليه السلام ، لا يتضمن شيئاً عن الأحكام » [1] . وقد أخذ هؤلاء العلماء هذا التفريق الذي نراه بين معنى « الزبور » و « الكتاب » من المعنى المفهوم عند اليهود ولا شك .

وقد فسر بعض علماء اللغة « المزامير » بأنها ما يتغنى به من الزبور ، وبما كان اليه المنتهى في حسن الصوت بالقراءة . وعرفها بعض آخر بأنها ضروب الدعاء ، جمع مزمار ومزمور . وورد في الحديث : « لقد اعطيت مزماراً من مزامير آل داوود » شبه حسن صوته وحلاوة نغمته بصوت المزمار [2] : ويظهر أن الجاهليين كانوا قد وقفوا على أحوال أهل الكتاب في ترتيلهم المزامير في معابدهم بصوت حسن ونغم حلو عذب ، فتوسعوا في المعنى على هذا النحو .

وقصد بـ « كتاب أمثال سليمان » ما يقال له « الأمثال » في الترجمة العربية الحديثة ، و « Proverbs » في الانكليزية . أما « كتاب ديوان الأيام فيه سير الملوك وأخبارهم » ، فقد قصد به ما يقال له « أخبار الأيام » في الترجمة العربية الحديثة ، و « Chronicles » في الانكليزية . وجملة : « فيه سير الملوك وأخبارهم » هي شرح لمضمون الأسفار .

(١) المفردات في غريب القرآن (ص ٢١٠) ، « وقد غلب الزبور على كتاب داوود عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام ... قال أبو عبيدة : الزبور ، ما أنزل على داوود ... وفي البصائر المصنف : وسمي كتاب داوود زبوراً لأنه نزل من السماء مسفوراً » ، شرح القاموس (٢٣٩/٣) .

(٢) شرح القاموس (٢١٠/٣) .

وأما قوله : « كتاب حشوارش ، ويسمى المجلة » ، فانه خطأ إذْ ليس في العهد القديم سفر يسمى « سفر حشوارش » ، أو سفر المجلة . بل نجد في العبرانية لفظة « Megilloth» ويراد بها اللفة والكراس وملف المخطوطات والكتاب . وقد أطلقت عندهم على الأسفار الخمسة « Canticles » و « روث Ruth » « راعوت » والجامعة « Ecclesiastes » ومراثي أرميا « Lamentations » وأستير « Esther »[1] . وترادف هذه اللفظة ، أعني لفظة مجلة ، لفظة « Megilloth » التي تطلق على الكتب الخمسة المذكورة ، وتقابل كلمة « Magaltho » في السريانية [2] .

وقد ذُكرت في كتب الأخباريين « مجلة لقمان » ، كما ذكرت « المجلة » في قول النابغة الذبياني :

مجلتهم ذات الإله ، ودينهم قويمٌ ، فما يرجون غير العواقب

وذكر بعض علماء اللغة أن المجلة هي الصحيفة يكتب فيها شيء من الحكمة [3] . وقيل كل كتاب أو كراسة [4] .

وقصد بـ « كتاب سير سيرين » السفر المعروف بسفر نشيد الانشاد في الترجمة العربية الحديثة لعهد القديم ، ويسمى بـ « Songs of Salamon » في الانكليزية . وهو أحد الأسفار الداخلة في قسم « الكتب Hagiographe Kethubim » ويعرف أيضاً

(١) Hastings, P. 112.

(٢) برصوم (ص ١٦٣) .

(٣) الاشتقاق (ص ١٩٢) « ويروى مجلتهم بالهاء (المهلة) ، أي أنهم يحجون فيحلون مواضع مقدسة » ، شرح القاموس (٢٦١/٧) ، برصوم (ص ١٦٣) .

(٤) « قال أبو عبيد : كل كتاب عند العرب مجلة وقدم سويد بن الصامت ، رضي الله تعالى عنه ، فتصدى له رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فدعاه . فقال له سويد : لعل الذي معك مثل الذي معي قال : وما الذي معك ؟ قال : مجلة لقمان ... وكان ابن عباس ، رضي الله تعالى عنهما ، اذا أنشد شعر أمية ، قال : مجلة ابن أبي الصلت » ، شرح القاموس (٢٦١/٧) .

« Canticles »، وهو اختصار « Canticum Canticorum » . وقد أخذ محدث ابن النديم تسميته المتقدمة من التسمية العبرانية، « شيرت شيريم Shirath Shirim » [1].

وأما « كتاب قوهلت »، فانه سفر « الجامعة » في الترجمة العربية الحديثة للعهد القديم، وهو يقابل « كوهيليت Koheleth » في العبرانية . وهو من مجموعة الأسفار التي تتكون أحد أقسام العهد القديم الثلاثة، بحسب تقسيم العبرانيين، ويقال له: « الكتب Kethubbim » [2] . وقد أطلق محدث ابن النديم على هذا السفر العنوان العبراني المعروف به عند اليهود .

وأما « كتاب أخا »، فأظن أنه قصد به سفر « حجي » في الترجمة العربية الحديثة، و « Haggai » في الترجمة الانكليزية . وقد سمي السفر بهذا الاسم نسبة الى نبي عرف به[3]، أو « كتاب ميخا » في الترجمة العربية الحديثة، و « Micah » في الترجمة الانكليزية . و « ميخا » اسم أحد الأنبياء الأربعة الذين عاشوا في القرن الثامن قبل الميلاد، ويعده العبرانيون في جملة الأنبياء الصغار[4].

وقد أخذ ابن النديم علمه بالنصرانية من « يونس القس »، وقد مدحه وأثنى عليه . وقد حدثه أن النصارى يعتمدون على « الصورة »، وأن الصورة قسمان : الصورة العتيقة، والصورة الحديثة ؛ وأن الصورة العتيقة هي السند القديم على مذهب اليهود، والحديثة على مذهب النصارى . « والعتيقة تستند الى عدة كتب أولها كتاب التوراة، وهي خمسة أسفار : كتاب محتوى، ويحتوي على عدة كتب، منها : كتاب يوسع بن نون، كتاب الأسباط وهو كتاب القضاة، كتاب شماويل، وقضية داوود، كتاب أخبار بني اسرائيل،

(١) Hastings, P. 870.
(٢) المصدر نفسه (ص ٢٠١) .
(٣) المصدر نفسه (ص ٣٢٤) .
(٤) المصدر نفسه (٦١٤) .

قضية رعوث ، كتاب سليمان بن داوود في الحكم ، كتاب قوهلت ، كتاب سير سيرين ، كتاب حكمة هوبسع بن سيرى ، كتاب الأنبياء ، ويحتوي على أربعة كتب ، كتاب أشعياء النبي عليه السلام ، كتاب أرميا النبي عليه السلام ، كتاب الاثني عشر نبياً عليهم السلام ، كتاب حزقيل »[1] .

وقد قصد ابن النديم بالصورة ما يقابل لفظة « Testament » في الانكليزية ، وهي ترجمة لكلمة « Diatheke » اليونانية التي هي ترجمة أيضاً للفظة « Berith » العبرانية ، ومعناها « العهد Covenant »[2] .

وقوله : « وينقسم الى قسمين : الصورة العتيقة والصورة الحديثة » هو تقسيم نصراني ، حدث بعد النصرانية بالطبع . أما اليهود ، فانهم لا يعترفون بكتب النصارى ، ولا يصدقون بالأناجيل وبكل ما هو وارد في العهد الجديد ، ولذلك لا يعترفون بالصورة الحديثة .

وقد وقف المسعودي على مصطلح « الصورة » فقال : « والأربعة والعشرين كتاباً التي تجتمع اليهود والنصارى عليها وتسميها اليهود الكتب الجامعة ، والنصارى كتب الصورة . والصورة القديمة اثنا عشر ، منها سفار ، واثنا عشر كبار . وتسمى أيضاً كتب الأنبياء . منها التوراة خمسة أسفار ، وليس تقرأ النصارى في الكنائس من التوراة إلا السفر الأول وهو الخليقة »[3] .

ويقسم اليهود الكتاب المقدس ، أي العهد القديم في اصطلاح النصارى ، الى ثلاثة أقسام ، هي : الشريعة والناموس ، وتسمى « التورا Torah » في العبرانية ، أي التوراة

(١) الفهرست (ص ٣٤ وما بعدها) .

(٢) Hastings, P. 111

(٣) التنبيه (ص ١٠٦) .

كما ذكرت والأنبياء « Prophets »، ويسمى بـ « نبيم Nebim » في العبرانية . والقسم الثالث « الكتب » « كيتوبيم Kethubim» في العبرانية . وبـ « Hagiographa » في اليونانية . ومعناها الكتب المقدسة [1] . أما القسم الأول ، أي التوراة ، فيشمل الأسفار الخمسة ، وهي : التكوين والخروج واللاويين والعدد والتثنية ، ويقال لها أسفار موسى ، ولها عندهم حرمة خاصة وقدسية كبيرة . وهي الأسفار المقدسة الوحيدة عند السامريين [2] .

وأما الأنبياء ، وهو القسم الثاني ، فيشمل : أسفار يشوع والقضاة وصموئيل والملوك وأشعياء وأرميا وحزقيال ، وأسفار الأنبياء الصغار « Minor Prophets »، وهي : هوشع ، ويوئيل، وعاموس ، وعوبديا ، ويونان، وميخا ، وناحوم ، وحبقوق ،وصفنيا ، وحجي ، وزكريا، وملاخي [3] .

وأما الكتب « Kethubim » ، أو الأسفار المقدسة في اصطلاح اليونان « Hagiographa »، فتشمل المزامير والأمثال وأيوب ونشيد الانشاد وراعوت والمراثي والجامعة وأستير ودانيال وعزرا ونحميا والأيام الأول والثاني . أما النصارى ، فقد قسموها الى أسفار تاريخية وأسفار شعرية وأسفار نبوية [4] .

وقد ذكر ابن النديم بعد التوراة جملة : « كتاب محتوى . ويحتوي على عدة كتب ، منها : كتاب يوسع بن نون ، كتاب الأسباط وهو كتاب القضاة ، كتاب شماويل وقضية داوود ، كتاب أخبار بني اسرائيل ، كتاب قضية رعوث ، كتاب سليمان بن داوود .. الخ » [5] . ويدخل سفر يوسع بن نون ، وسفر القضاة ، وسفر شماويل ، وسفر قضية

(١) قاموس الكتاب المقدس (٢/٢٤٠) ، Hastings, P. 95

(٢) Hastings, P. 95.

(٣) قاموس الكتاب المقدس (٢/٢٤٠) ، Hastings, P. 112

(٤) المصدر نفسه .

(٥) ص ٣٥ .

داوود في كتب الأنبياء . أما الأسفار الأخرى ، فتدخل في القسم الثالث ، وهو الكتب كما ذكرت . ولم يكمل محدث ابن النديم ، وهو « يونس القس » ، سلسلة كتب الأنبياء ، ولم يربط بينها ، كذلك لم يسر على وفق ترتيب الأسفار في العهد القديم ، بل خلط بينها وقدم وأخر. قدم سفراً متأخراً ، وأخر متقدماً ، فاختلطت الأسفار من القسمين بعضها ببعض .

أما سفر « يوسع بن نون » ، فقصد به سفر « يشوع » ، وهو « يشوع بن نون » خليفة موسى ومن سبط أفرايم كما ذكرت . وهو السفر الذي ذكره ابن النديم في أثناء كلامه على كتب اليهود باسم كتاب يهوسع [1] ، كما أشرت اليه . وأما « كتاب الأسباط ، وهو كتاب القضاة ، فقد ذكره ابن النديم قبلاً باسم « كتاب سفطى » [2] . وقد بينت أصل هذه الكلمة العبراني . وأما كتاب شماويل فانه سفر صموئيل ، وقد ذكره ابن النديم أيضاً ، وسماه كتاب شمويل ، وقصد صموئيل الأول وصموئيل الثاني . وأما قوله : « وقضية داوود ، فأراد به سفر الملوك . وقد ذكره في أثناء كلامه على الكتب المقدسة عند اليهود فقال عنه : « كتاب ملخى ، وهو سفر داوود وسليمان ، ويعرف بتفسير ملخى » [3] . ويدخل في قسم كتب الأنبياء .

وقد كان على « يونس القس » ، أو ابن النديم ، الحاق جملة : « كتاب الأنبياء ، ويحتوي على أربعة كتب : كتاب أشعياء النبي عليه السلام ، كتاب أرمياء النبي عليه السلام ، كتاب الاثني عشر نبياً عليهم السلام ، كتاب حزقيل » بالجملة المتقدمة الخاصة بكتب الأنبياء ، لا أن يذكرها هنا وبعد الكلام على قسم « الكتب » . ثم كان عليه مراعاة التنظيم والترتيب بين الأسفار .

وأما قوله « كتاب أخبار بني اسرائيل ، كتاب قضية رعوث ، كتاب سليمان بن

(١) ص ٣٤ .
(٢) المصدر نفسه .
(٣) المصدر نفسه .

داوود في الحكم ، كتاب قوهلت ، كتاب سير سيرين ، كتاب حكمة هويسع بن سيرى »[1]، فقد أراد به القسم الثالث ، أي « الكتب » . وقد ترك بعض الأسفار ، فلم يذكرها ، وذكرها فيما تقدم في أثناء كلامي على تقسيم الكتاب المقدس عند اليهود . وقد أراد بكتاب أخبار بني اسرائيل السفر المعروف بأخبار الأيام الأول والثاني ، وأراد برعوث السفر المعروف بـ « راعوت » ، وقصد بـ « كتاب سليمان بن داوود في الحكم » ، السفر المعروف بـ « الأمثال » « Proverbs » وهو في الحكم ، وأراد بـ « كتاب قوهلت » سفر الجامعة ، وهو يلي سفر الأمثال في الترتيب . وأما « كتاب سير سيرين » ، فقصد به نشيد الإنشاد كما شرحت ذلك فيما سبق . وهو يلي سفر الجامعة في الترتيب . وأما « كتاب حكمة هويسع بن سيرى » ، فلا يعد من هذه الكتب ، وإنما هو من « الابوكريفا » « Apocrypha » ، أي من الكتب غير القانونية التي أضيفت الى العهد القديم وبعض الأسفار الملحقة بالعهد الجديد [2] .

وعدد كتب « أبوكريفا العهد القديم » ، أربعة عشر كتاباً ، هي : أسدراس الأول ، وأسدراس الثاني ، وطوبيت ، ويهوديت ، وبقية اصحاحات سفر أستير غير الموجودة في العبرانية وفي الكلدانية ، وحكمة سليمان ، وحكمة يشوع بن سيراخ ، وباروخ ، ونشيد الثلاثة الفتية المقدسين ، وتتمة سفر دانيال ، وتأريخ سوسنة ، وتأريخ انقلاب بيل والتنين ، وصلاة منسي ملك يهودا ، والمكابيين الأول والمكابيين الثاني .

وكتب أكثر هذه الكتب باليونانية ، وللعلماء النصارى رأي فيها ، وقد أدخلت في بعض الترجمات للعهد القديم ، فطبع أكثرها إلا كتابا اسدارس وصلاة منسى بعد الكتاب المقدس ، لقيمتها التأريخية ، وحذفت كلها من الترجمات البروتستانتية لعدم

---

(١) صفحة (٣٥) .

(٢) قاموس الكتاب المقدس (١/٢٦) .

اعتراف البروتستانت بها [1] .

وكتاب « حكمة هوشع بن سيري »، هو كتاب « حكمة يشوع بن سيراخ » الذي ذكرته الآن في كتب « الابوكريفا » . ويعرف بـ « The Wisdom of Jesus the son of Sirach » في الانكليزية ، وبـ « Ecclesiasticus » كذلك . وهو من الكتب المهمة في مجموعة كتب « الابوكريفا » . وقد اقتبس هذا الكتاب من الأمثال والجامعة وأيوب . كتبه يهودي ، اسمه « يشوع بن سيراخ » ، في القرن الثالث قبل الميلاد في العبرانية في الأصل ، وقد فقد الأصل العبراني ، واعتمد على النص اليوناني المترجم عن العبرانية حوالي سنة ١٣٢ قبل الميلاد . وقد اكتشف نصف هذا الكتاب في مصر مدوناً بالعبرانية [2] .

وقد يكون مراد ابن النديم أو محدثه يونس القس ، بـ « كتاب سليمان بن داوود في الحكم » ، السفر المعروف بـ « حكمة سليمان » في « الابوكريفا » ، ويعرف بـ « Wisdom of Solomon » في الانكليزية . وقد أخذ في الغالب من التوراة . وقد نسب الى سليمان ، غير أن صاحبه رجل يهودي من الاسكندرية ، كتبه فيما بين سنة ١٥٠ وسنة ٥٠ قبل الميلاد . كتبه باليونانية ، ويتغلب عليه الطابع الأدبي [3] .

وتشتمل « الصورة الحديثة » أي العهد الجديد في اصطلاحنا على الأناجيل الأربعة ، وهي : كتاب انجيل متي ، وكتاب انجيل مرقس ، وكتاب انجيل لوقا ، وكتاب انجيل يوحنا ، وكتاب الحواريين وقد ذكره باسم « فراكسيس » كذلك ، وكتاب بولس السليح ويشتمل على أربع وعشرين رسالة [4] . أما الأناجيل الأربعة ، فمعروفة ، ولا تزال تسمى بالأسماء المذكورة . وأما « كتاب الحواريين » ، فقصد به ما يقال له « أعمال الرسل » في

(١) قاموس الكتاب المقدس (١/٢٦) .

(٢) Hastings, P. 45.

(٣) المصدر نفسه .

(٤) الفهرست (ص ٣٠) .

الترجمة العربية الحديثة ، و بـ « Acts » في الترجمة الانكليزية . وهو السفر الخامس من العهد الجديد . ويعرف بالأعمال أو بأعمال من غير تعريف . وهو في تأريخ الكنيسة من المسيح الى سجن بولس في روما . وقد كتبه « لوقا » الانجيلي كاتب الانجيل الثالث ، ويرجح أنه كتبه في روما سنة ٦٣ بعد الميلاد [١] .

وقصد بقوله « كتاب بولس السليح ، أربعة وعشرون رسالة » ، رسائل « بولس الرسول » ، التي تلي أعمال الرسل . و « بولس » هو يهودي الأصل ، اسمه في العبرانية « شاؤل » . أما « بولس » ، فهو اسمه بين الرومانيين ، ومعناه « صغير » . وقد كتب بثلاث عشرة رسالة أو أربع عشرة رسالة على رأي من عدّ الرسالة الموجه بها الى العبرانيين ، من عمل « بولس » . وهو أمر لا يرجحه أكثر علماء العهد الجديد [٢] . وقد جعل يونس القس أو ابن النديم رسائل بولس أربعاً وعشرين رسالة . وهو خطأ ، لعله من ابن النديم أو من النسّاخ . ولعله كان قد كتب أربع عشرة ، على اعتبار أن رسالة الى العبرانيين هي من رسائله ، فصيرت أربعاً وعشرين .

وقصد ابن النديم بلفظة « السليح » ، « الرسول » . وقد أخذها من محدثه النصراني . وهي لفظة سريانية هي « شلحو Shilho » ، من أصل « شلح Shlah » ، بمعنى : أرسل ، وبعث . وجمعها « سليحون » [٣] . وقد وردت جملة « وكتاب السليح بولس » و « فلما توفي توما السليح » في كتاب « ليحي بن عدي » [٤] . ووردت جمل مثل « بطرس السليح » و « سمعان السليح ورسائل السليح بولس » [٥] وغيرها .

(١) قاموس الكتاب المقدس (١/١١٥ وما بعدها) .

(٢) قاموس الكتاب المقدس (١/٢٦٠) .

(٣) برصوم (ص ٨٩) .

(٤) المصدر نفسه .

(٥) المصدر نفسه .

واستعملت اللفظة بمعنى « رسائل » ، فورد « ويقرأ السليح والقراكسيس » ، ويعني بذلك الرسائل وكتاب أعمال الرسل ، وورد « وقرأ السليح أسقف النعمانية » ، ووردت اللفظة في كتب المسلمين فذكرها البيروني ، وفسرها بالحواري : « وهو شمعون الصفا رئيس السليحين ، وهم الحواريون » ، وقال : « ذكر أن توما السليح » . وأشير في الكتب العربية الأخرى الى « صوم السليحين » [1] .

ويلاحظ أن ابن النديم قد أهمل الأسفار الأخرى التي تلي رسائل بولس ، وهي : رسالة يعقوب ، ورسالتا بطرس، ورسائل يوحنا الثلاث، ورسالة يهوذا ، ورؤيا يوحنا اللاهوتي ، فلم يذكرها ، مع أنها مدونة في الأناجيل [2] .

وقد ذكر ابن النديم أسماء بعض علماء النصارى ، ممن عرفوا بالعلم والفقه ، هم : « ابن بهريز » واسمه « عبد يسوع » وكان مطراناً على حرّان ، ثم صار مطراناً على الموصل . وكان حكيماً ، درس المنطق والفلسفة ، وكان في حكمته قريباً من حكماء الاسلام كما يقول ابن النديم [3] . ومنهم : « فينون » وكان ناقلاً حسن العبارة واللفظ ، وثيادورس ، ويوشع بخت ، وحزقيل ، وطمانوس ، ويوسع بن بد . وكل هؤلاء من النقلة والمفسرين . كما ذكر اسم « تاوما الرهاوي » وله رسالة الى أخته فيما جرى بينه وبين المخالفين بالاسكندرية ، و « اليا » مطران دمشق وله كتاب الدعاء ، وأبو عزه وكان أسقف الملكية بحرّان وله كتاب « يطعن فيه على أسطورس الرئيس . وقد نقضه عليه جماعة » [4] .

ويظهر من عبارة « قال أحمد بن عبد الله بن سلام : ترجمت صدر هذا الكتاب

(١) المصدر نفسه (ص ٩٠) .

(٢) راجع مختلف الطبعات .

(٣) الفهرست (ص ٣٠ وما بعدها) ، عيون الأنباء (١/٢٠٠) ،

Noldeke, Geschichte der Perser und Araber, S. 225. anm. 2.

(٤) الفهرست (ص ٣٠ وما بعدها) .

والصحف والتوراة والانجيل والتلامذة من لغة العبرانية واليونانية والصابئة ، التي نقلها ابن النديم من كتاب أحمد هذا ، الذي رأى نسخته ، أن هذا الكتاب كان قد شمل كتب اليهود والنصارى والصابئة ، ونقولاً عن بعض من أسلم من أهل الكتاب مثل : عبد الله ابن سلام ، ويامين بن يامين ، ووهب بن منبه ، وكعب الأحبار ، وابن التيهان ، وبحيرا الراهب ، مضافاً اليها بعض ما يعرفه عن هذه الديانات . وأظن أنه قصد بالصابئة لغة بني ارم ، أي الارمية ، بدليل ذكر العبرانية واليونانية . والارمية هي لغة الكنيسة الشرقية كما هو معلوم .

وإذا كان نقل أحمد هذا نقلاً حرفياً صحيحاً ليس فيه اقتضاب ولا اختصار كما ذكر ذلك في مقدمته له ، فيجب أن يكون الكتاب إذن كتاباً ضخماً في مجلدات . ولكننا نجده يذكر في موضع آخر وفي أثناء كلامه على من أسماهم بالصابئة ، هذه الجملة : « وهو كتاب فيه طول ، إلا أني اختصرت منه ما لا بد منه ، ليعرف به سبب ما ذكرت من اختلافهم وتفرقهم ، وأدخلت فيه ما يحتاج اليه من الحجة في ذلك من القرآن والآثار التي جاءت عن الرسول »[1] ، مما يدل أن الكتاب المذكور لم يكن ترجمة كلية لكل الكتب ، وإنما هو ترجمات وتوضيحات وردود وغيرذلك . فهو إذن كتاب مؤلف في الأديان ، فيه نصوص وفيه نقول وتوضيحات وشروح ، فهو مؤلف في الفرق والأديان ، سماها ابن النديم عن وصفه ، فلم يذكر عدد أجزائه ، فأضاع علينا بذلك فوائد كبيرة .

ومما يؤسفنا أيضاً سكوت ابن النديم عن الترجمات العربية القديمة لكتب اليهود والنصارى ، والبحث في هذا الموضوع مهم جداً . فالذي نعرفه من الكتب العربية القديمة ومن النقول الواردة في كتب أهل الملل والنحل ، أن العربية امتلكت ترجمات

(١) ص ٣٣ .

(١) الفهرست (ص ٣٢) .

لهذه الكتب في العهد الأموي ، وهناك اشارات تدل على وجود هـذه الترجمات عند الجاهليين كذلك ، لعلّ الأيام ترشدنا اليها .

وقد ذكر المسعودي في اثناء حديثه عن القيصر « ابطليوس الكصندوس » ترجمات عربية للتوراة ، فقال : « وهو الذي نقلت له التوراة ، نقلها اثنان وسبعون حبراً بالاسكندرية من بلاد مصر ، من اللغة العبرانية الى اليونانية . وقد ترجم هذه النسخة الى العربي عدة ممن تقدم وتأخر ، منهم حنين بن اسحاق ، وهي أصح نسخ التوراة عند كثير من الناس .

فأما الاسرائيليون من الاشمعث ، وهم الحشر والجمهور الاعظم ، والعنانية وهم ممن يذهب إلى العدل والتوحيد ، فيعتمدون في تفسير الكتب العبرانية : التوراة والأنبياء والزبور . وهي أربعة وعشرون كتاباً .

وترجمتها إلى العربية على عدة من الاسرائيليين المحمودين عندهم . قد شاهدنا أكثرهم ، منهم : أبو كثير يحيى بن زكريا الكاتب الطبراني ، اشعثي المذهب ، وكانت وفاته في حدود العشرين والثلاثمئة ، ومنهم سعيد بن يعقوب الفيومي ، اشعثي المذهب أيضاً . وكان قد قرأ على أبي كثير . وقد يفضل تفسيره كثير منهم ... ومنهم داوود المعروف بالقومسي ، وكانت وفاته سنة ٣٣٤ ، وكان مقيما ببيت المقدس . وابراهيم البغدادي ، ولم اشاهدهما »[1] .

وبعض هذه الترجمات التي يذكرها المسعودي أو غيره ، ليست ترجمات كاملة للتوراة في الواقع ، بل هي تفسير وشروح لها أو مقتبسات أو ترجمات للأسفار الأخرى من الكتاب المقدس ، وبعضه ترجمات عن « المشنا » . وكتب الأحبار لها أهمية خاصة بالطبع عند اليهود ، وقد نقلت الى العربية ، واستعملها أحبار اليهود في أحكامهم ، فظن المسلمون

(١) التنبيه ، (ص ٩٨ وما بعدها ، ١٤٢) .

أنها ترجمات حرفية للتوارة .

وقد تحدث المسعودي عن اليهود السامرة وعن اختلافهم عن بقية يهود ، فقال : « وبين هـذه السنين وما يوجبه حساب التوراة العبرانية تفاوت كثير . وكذلك نسخة التوراة التي بأيدى السامرة، وهم السكوشان والدوستان من اليهود بأرض فلسطين والأردن، بينها وبين هاتين أيضاً تفاوت بعيد » [1] .

وتحدث المسعودي عن السامرة في كتابه « مروج الذهب » فقال : « والأسامرة تزعم أن التوراة التي في يد اليهود ليست التوراة التي أورد موسى بن عمران عليه السلام ، وأن تلك حرفت وبدلت وغيرت ... وأن التوراة الصحيحة هي في أيدي الأسامرة دون غيرهم » [2] .

وقد علم العلماء المسلمون أن السامريين يخالفون اليهود في بعض أحكامهم ، ولكنهم لم يكونوا كما يظهر مما كتبوه عنهم أنهم كانوا على وقوف تام على وجوه ذلك الاختلاف .

وقد تحدث ابن حزم عن السامرة فذكر أنهم يزعمون أن التوراة التي في أيديهم هي توراة موسى ، وأن توراة اليهود محرفة . وذكر أنه لم يتمكن من الوقوف على توراتهم هذه « لأنهم لا يستجيزون الخروج عن فلسطين والأردن اصلا » [3] ، أي بسبب عدم وقوفه عليهم وبعده عنهم . أما الشهرستاني ، فقد ذكر أنهم « يسكنون بيت المقدس وقرايا من أعمال مصر ، يتقشفون في الطهارة أكثر من تقشف سائر اليهود . أثبتوا نبوة موسى وهارون ويوشع بن نون عليهم السلام ، وأنكروا نبوة من بعدهم رأساً ، إلا نبياً واحداً . وقالوا : التوراة ما بشرت إلا بنبي واحد يأتي من بعد موسى ، يصدق ما بين يديه من

(١) التنبيه (ص ١٨٢) .

(٢) المروج (١/٤٩) .

(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/١١٢) ، طبعة القاهرة ١٣١٧ هـ .

التوراة ، ويحكم بحكمها ، ولا يخالفها البتة » .

وظهر في السامرة رجل يقال له الالفان ، ادعى النبوة ، وزعم أنه هو الكوكب الذي ورد في التوراة أنه يضيء ضوء القمر . وكان ظهوره قبل المسيح عليه السلام بقريب من مئة سنة . وقد عرض القلقشندي وعلماء آخرون للسامرة وآرائهم وعقائدهم في التوراة وفي سنن يهود [1] .

وافترقت السامرة الى دوستانية وهم الألفانية ، وإلى كوسانية . والدوستانية معناها الفرقة المتفرقة الكاذبة . والكوسانية معناها الجماعة الصادقة . وهم يقرون بالآخرة والثواب والعقاب فيها . والدوستانية تزعم أن الثواب والعقاب في الدنيا . وبين الفريقين اختلاف في الأحكام والشرائع .

وقبلة السامرة ، جبل يقال له غريم ، بين بيت المقدس ونابلس . قالوا : إن الله تعالى أمر داوود النبي ، عليه السلام ، أن يبني بيت المقدس بجبل نابلس . وهو الطور الذي كلم الله عليه موسى ، عليه السلام ، فحول داوود الى ايليا ، وبنى البيت ثمة ، وخالف الأمر ، وظلم . والسامرة توجهوا الى تلك القبلة دون سائر اليهود ، ولغتهم غير لغة اليهود . وزعموا أن التوراة كانت بلسانهم ، وهي قريبة من العبرانية ، فنقلت الى السريانية » [2] .

وللسامرة لهجة خاصة اشتقت من الارمية ، كتبوا بها ، الى جانب اليهودية . وهم لا يعترفون إلا بالتوراة ، أي بأسفار موسى الخمسة المكتوبة بخطهم ، وقد ترجموها بلغة عامية خاصة ، نشأ منها « الترجوم السامري » . وقد بقيت منهم بقية لا تزال تعيش في نابلس ، على مقربة من خرائب مدينة السامرة القديمة ، في سفح جبل جرزيم «Gerizim» .

(١) صبح الأعشى (١٣/٢٦٥ وما بعدها) .

(٢) الشهرستاني : الملل والنحل ، حاشية على الفصل والملل (٢/٥٨) .

مكان عبادتهم المقدس [1] . وهم كالاسرائيليين ينتظرون مسيحاً ، يسمونه في مؤلفاتهم الحديثة بـ « حاماحيب » أو « حاطاحيب » ، أي المرجّع ، ويعتقدون بالأرواح والملائكة وبخلود النفس وبالقيامة [2] .

وقصد المسعودي وأمثاله بالكوسانية والكوشانية لفظة « Kuthim » في العبرانية ، التي أطلقت على السامرة ، من أصل « كوته Cuthah » في أرض بابل بالعراق . وأما لفظة السامرة ، فانها من « شامريم Shamerim » التي تطلقها السامرة على نفسها ، ومعناها « الحرّاس » و « المراقبون » أي حراس الشريعة [3] .

وحنين بن إسحاق ، هو عالم نصراني مشهور ، ويعرف بأبي زيد العبادي ، فهو من نصارى الحيرة ، وهو من النساطرة ومن الأطباء . وله ترجمات لكتب يونانية في الطب وفي النبات وفي أمور فلسفية ودينية توفي سنة « ٢٦٤ هـ » ، (٨٧٣) للميلاد [4] . وقد بقيت من أعماله جملة مترجمات وبحوث . وقد ترجمه بعض العلماء المسلمين ، وأثنى عليه ابن النديم فقال: «كان فاضلاً في صناعة الطب ، فصيحاً باللغة اليونانية والعربية . دار البلاد في جمع الكتب القديمة » . وقد ذكر جملة من مؤلفاته ، ولكنه لم يشر الى ترجمة له للتوراة وللأناجيل . وله كتاب في تأريخ العالم والمبدأ والأنبياء والملوك والأمم والخلفاء ، ابتدأ فيه بآدم ومن أتى من بعده ، وذكر ملوك بني إسرائيل وملوك اليونان والرومان والمسلمين الى

---

(١) شابو : اللغات الارامية وآدابها ، القدس ١٩٣٠ (ص ٢٥) ؛ قاموس الكتاب المقدس (١/٥٢١)، Hastings, Ency. of Relig. and Ethi., Vol., 11, P. 161, The Univessal Jewish Ency., Vol., 9. PP. 336.

(٢) دائرة المعارف ، للبستاني (٩/٤٠٢ وما بعدها) .

(٣) The Universal Jewish Ency., Vol., 9, pp. 335.

(٤) المخطوطات العربية الكنية النصرانية (ص ٩٢) .

(٥) الفهرست (ص ٤٠٩ وما بعدها) ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء (١/١٨٤ وما بعدها) ، ابن القفطي (١٧١ وما بعدها) .

أيامه في أيام الخليفة المتوكل [1] .

وقصد ابن النديم بـ « أسطورس الرئيس » نسطور رئيس النساطرة . وأسقف « القسطنطنية » من سنة ٤٢٨ حتى سنة ٤٣١ للميلاد . ويقول النساطرة بوجود طبيعتين في المسيح . وقد عقدت عدة مجالس كنسية للبحث في هذه المسألة وفي مسائل أخرى سببت انقسام الكنيسة [2] . وقد عاش النساطرة مع المسلمين ، ومع ذلك لم يكن علمهم بهم عميقاً . وقد تحدث عنهم الشهرستاني فقال : « إنهم منسوبون الى نسطور الحكيم ، الذي ظهر في زمان المأمون ، وتصرف في الأناجيل بحكم رأيه ، وقال : إن الله واحد ذو أقانيم ثلاثة : الوجود ، والعلم ، والحياة . وإن هذه الأقانيم ، ليست بزائدة على الذات ، ولا هي هي ، وإن الكلمة اتحدت بجسد المسيح ، لا على طريق الامتزاج كما ذهبت اليه الملكانية ، ولا على طريق الظهور كما قالته اليعقوبية [3] » .

وقد تحدث القلقشندي عن النساطرة مستمداً علمه من ابن العميد ، المؤرخ النصراني ، وله كتاب في التأريخ مطبوع ، ومن الشهرستاني . وقد أخذ من ابن العميد إشارته الى محاكمته بمدينة « أفسس » وتكفيره في المحاكمة التي جرت فيها . وذكر بعد ذلك أنه نفي الى إخميم من صعيد مصر ، ومات بها ، فظهر مذهبه في نصارى المشرق من الجزيرة الفراتية والموصل والعراق وفارس [4] .

وأما العنانية ، ففرقة من اليهود ، تنسب الى عنان بن داوود رئيس القرائين المتوفى بين سنتي ٧٩٠ و ٨٠٠ للميلاد . وكان من مشاهير أحبار اليهود المشهور لهم بمعرفة التلمود . تنافس مع أخيه الأصغر حنانيا على رئاسة يهود في العراق ، وذلك في حوالي سنة

(١) عيون الأنباء (١/٢٠٠) .

(٢) Ency. of Reli. and Ethi., Vol., 9, pp. 325.

(٣) صبح الأعشى (١٣/٢٨٠ وما بعدها) .

(٤) المصدر نفسه .

٧٦٢ للميلاد ، فحقد عليه أخوه ، فوشى به عند الخليفة أبي جعفر المنصور ، فقبض عليه وسجنه . وبقي مدة في السجن ، حتى أفرج عنه بعد أن أظهر أنه رئيس مذهب ، وأنه يختلف في مذهبه عن بقية يهود . ويذكر أن الإمام أبا حنيفة التقى به أيام كان في السجن ، فكلمه وسأله عن مذهبه . ولما عرف رأيه في اليهودية . أشار عليه ببيان مذهبه للخليفة ، فلما وقف الخليفة عليه ، أخرجه وأقره على رئاسة طائفته [١] .

ولم يكن عنان مجتهداً أصيلاً في آرائه ومذهبه ، بل كان مقتبساً ناقلاً في الغالب . أخذ من «الصدوقيين Sadducees» ، ومن أتباع أبي عيسى الأصفهاني حوالي سنة ٦٩٠م ، ومن «يدغان yudghan» حوالي سنة ٧١٠ م ، ومن غيرهم . أخذ من الصدوقيين رأيهم في حرمة إشعال النار في أيام السبت ، وفي الترجمة الحرفية للتوراة في جعل السبت في ليلة الأحد ؛ وأخذ من العيسوية ، أتباع أبي عيسى الاصفهاني ، رأيها في صحة نزول الوحي على عيسى ومحمد ونبوتهما بالنسبة للنصارى والمسلمين . وأخذ آراء أحبار آخرين في موضوع إضافة شهر آخر الى السنة الكبيسة ، بجعلها ثلاثة عشر شهراً ، وهو شهر دعاه « شباط الثاني » ، «شبات شيني Shebat Sheni » ، وفي تثبيت صوم « Esther » باليوم الرابع عشر والخامس عشر من آذار [٢] .

وقد تأثر عنان بالفقه الإسلامي ، ومنه أخذ رأيه في الأخذ بالقياس في استنباط الأحكام . والقياس هو « هاكيش Hekesh» «هاكيش» و« ماه متزنو Mah matzinu » في الفقه اليهودي [٣] . ولعله أخذه من الإمام أبي حنيفة في أثناء اتصاله به .

أما أبو عيسى الأصفهاني ، فقد كان من يهود ايران . ادعى المهدوية ، وأعلن نفسه المسيح الخامس والأخير ، أرسله الله الى بني اسرائيل ، ليخلصهم من السبي ، وليعيدهم الى

(١) The Univer. Jewish Ency., Vol., I, P. 293.

(٢) The Univ. Jewish. Ency., Vol., I, P. 293.

(٣) المصدر نفسه .

أرض اسرائيل . وقد ادعى أنه أمي لايقرأ ولا يكتب ، وأن ما ألقه وكتبه هو من الله أوحاه اليه . وقد حمله اعتقاده بأنه المسيح المنتظر والمخلص لاسـرائيل ، على الثورة على الخليفة أبي جعفر المنصور ، فجمع جيشاً قوامه عشرة آلاف رجل ، وثار به ، ولـكنه لم يتمكن من الصمود ، فانهزم في معركة الري ، وسقط في المعركة [1] .

ونجد في آراء أبي عيسى الأصفهاني آراء مأخوذة من « الصدوقية Sadducean » ، كما نجد فيها بعض آراء منقولة عن النصرانية والاسلامية . وقد ذكر أنه تأثر بالأناجيل وبالقرآن ، واعتقد بصحة الديانتين النصرانية والاسلامية ، وعدهما في حـكم اليهودية من حيث الصحة ، وعـد الانجيل والقرآن كتابين سماويين ، لـكنه اعتبر اليهودية هي الديانة الصحيحة اللازمة لليهود ، وعلى اليهود أن يتمسكوا بها ، لأنها ديانة خاصة بهم ، نزلت فيهم . أما النصرانية والاسلامية ، فلسائر الناس [2] .

وقد رفض أتباع أبي عيسى خبر مقتله ، واعتقدوا أنه حيّ لم يمت ، وأنه اختفى في كهف ، وسيظهر حتماً ليتم أمر الله ورسالته اليه بانقاذ اسرائيل واعادتهم من المنفى . وقد بقيت منهم بقية في اصبهان ودمشق الى القرن العاشر للميلاد ، ثم انقرضت [3] .

ذلك هو مبلغ علم ابن النديم باليهودية والنصرانية والـكتب المقدسـة عند أصحاب الديانتين ، وهو علم لايتسم كما رأينا بالعمق ، وفيه شيء من السطحية والاضطراب .

جواد علي

---

(١) Univer. Jewish Ency., 5, P. 607.

(٢) The Univer. Jewish Ency., Vol., 5, P. 604., Silver, A History of Messianic Speculation. in Israel, 1924, P. P. 55, Graetz, History of the Jews, Vol., 3, PP. 124.

(٣) المصدر نفسه .